دَوْرُ مُعَلِّمِ التَّربِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي تَعزِيْزِ جِهَادِ التَّبْيِين لَدَى المُرَاهِقِينِ عَلَى ضَوْءِ القُرآنِ والسُنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

◆ جواد عبد الحميد عمّار[1]

■ خلاصة

تستهدف الدراسة دور مُعلّم التربية الإسلامية في تعزيز جهاد التبيين لدى المراهقين على ضوء القرآن والسنة النبوية؛ إذ ركزت على الابتلاءات التي تصيب هذه الفئة؛ كونها فئة ما زال عودها ليّنًا وطريًّا، وتتأثّر سريعًا بكل ما يحيط بها، فدور مُعلّم التربية الإسلامية هو دور حسّاس جدًا. لذا، عليه أن يكون قدوة في كل شيء، ولا يكتفي بالتلقين، بل يتعدّى ذلك إلى نقل مهارات التفكير الناقد، والتفكير الإبداعي على ضوء القرآن الكريم. كما عليه أن يكون ذا قدرة عالية على الإقناع، خصوصًا فيما يتعلّق بالإشكاليات العقدية المعاصرة، ومواجهة الفكر الإلحادي، ويمكّن نفسه من الإجابة بشكل سلس ومقنع ومؤثر، ويجعل الحوار أساس الانطلاقة وختامها، مستعينًا بالقرآن الكريم وسُنّة المعصومين. يرتكز جهاد التبيين في فكر الإمام الخامنئي على توضيح الحقائق، ودفع الانحرافات، ومواجهة سهام العدو الفكرية، ما يجعل كل جهد توعوي جهادًا فكريًا حقيقيًا. ويستلزم ذلك من المعلّم امتلاك مهارات عقدية وسلوكية وحوارية، مع فهم عميق لاحتياجات المراهق النفسية والاجتماعية، مضافًا إلى القدرة على معالجة الشبهات، والإجابة عنها بحكمة وبراعة. كما يبرز المقال أهمية التفكير الناقد والإبداعي في القرآن، وضرورة استثمارها تربويًّا، ليصبح المراهق واعيًا ومسؤولًا، وقادرًا على مقاومة الانحراف الفكري، والتحوّل إلى عنصر فاعل في بناء الوعي والهوية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: مُعلّم التربية الإسلامية، جهاد التبيين، الجهاد الفكري، المراهق، القرآن والسنة النبوية، الجهاد الفكري.

١ - باحث لبناني، يعدّ أطروحة دكتوراه في كلية الدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية في لبنان.

Role of Islamic Education Teacher in Promoting Jihad of Clarification among Adolescents in light of Qur'an, Sunnah.

◆ **Jawad Abdul Hamid Ammar**

Lebanese Research, PhD candidate at the Faculty of Islamic Studies, Islamic University of Lebanon.

Abstract

The study aims at explore the role of the Islamic Education teacher in promoting the jihad of clarification [Jihad al-Tabyin], among adolescents in light of the Quran and the Sunnah. The study focuses on the trials and challenges faced by this age group, as they are still in a formative stage, highly impressionable, and easily influenced by their surroundings. Therefore, the role of the Islamic Education teacher is crucial and sensitive. The teacher must be a role model in all aspects, going beyond mere instruction to impart critical and creative thinking skills based on the teachings of the Quran. The teacher must also possess a high level of persuasion, especially when addressing contemporary theological issues, confronting atheistic ideologies, and responding with clarity, conviction, and impact. The teacher should make dialogue the foundation of both the initiation and conclusion of any discussion, drawing upon the Quran and the Sunnah of the infallibles.

In the thought of Imam Khamenei, jihad of clarification [Jihad al-Tabyin] involves clarifying truths, correcting deviations, and confronting the intellectual arrows of the enemy, making any form of awareness raising a true intellectual jihad. This requires the teacher to have strong theological, behavioral, and communicative skills, along with a deep understanding of the psychological and social needs of adolescents. Additionally, the teacher must be equipped to address doubts and provide responses with wisdom and finesse.

The article highlights the importance of critical and creative thinking in the Quran and emphasizes the need to apply these skills in educational settings, enabling adolescents to become conscious, responsible individuals capable of resisting intellectual deviations. This would ultimately help them evolve into active contributors to the development of Islamic consciousness and identity.

Keywords:

Islamic Education Teacher, Jihad of Clarification [Jihad al-Tabyin], Intellectual Jihad, Adolescent, Quran and Sunnah.

مقدّمة

يحتل المُعلّم مركزًا مرموقًا في أي مجتمعٍ يحترم التقدّم والنمو، ولا بديل للمُعلّم كما يُشاع في الآونة الأخيرة عن احتمالية تبديل المُعلّم بالروبوت؛ إذ إنه يمكن للروبوت أن يحتلّ كثيراً من الوظائف السائدة في مجتمعاتنا، لكنه من المُحال أن يحلّ مكان المُعلّم بشكل كلّي.

إنّ مُعلّم التربية الإسلامية هو المُلهم والقدوة، فلا يصحّ للقدوة أن تكون روبوتًا مبرمجًا؛ لأنه خالٍ من الجانب العاطفي، والإحساس بالأمان، والإيمان، والتقوى، والاحتواء الذي يتمثل في المُعلّم الرسالي القدوة، فضلاً عن أن الإنسان مهما استفاد من ربوت، أو أي ذكاء اصطناعي، هو يَعلَم ضمنًا أنّ هذا صنمًا مبرمجًا، لا يقدّم ولا يؤخّر إلا أن يبرمجه بشر.

كما أن خطورة الموقف تكمن في أن المُعلّم مضافًا إلى تخصّصه الجامعي في أي ميدانٍ كان، عليه أن يتفقّه في دينه ويكون عارفًا بأمور زمانه؛ إذ إنه معرّضًا للسؤال، وعليه الإجابة، وبالحد الأدنى أن يكون عارفًا بالابتلاءات المعاصرة، سواء أكانت فقهية، أم عقدية، أم سياسية، أم تربوية، أم ثقافية، وغيرها.

كما أن الأخطر من الموقف المذكور، هو أنّه ينتهج نهج الرسول، فلزامًا لا خيارًا أن يكون قدوة في السلوك، والنهج، والمنطق، والفكر، والكلام، والإقناع، والإيمان، والتقوى، والالتزام،

واللباس، وكل ما قد يؤثّر على المراهقين، ويعزّز فيهم أمرًا سلبيًّا يتحمّل مسؤوليّته يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

فمن واجب كل مُعلّم أن يمارس جهاد التبيين كلٌّ بحسبه، فإنها فرصة إلهية فتحت له أبواب الجنة على مصراعيها، فعليه أن يقدّم التبيين على كل شيء؛ حيث إن كل العلوم مُهمّة لإعمار الأرض، ولكن الأهمّ ما يحمله المراهق في دنياه موصولاً بآخرته.

واليوم تحديدًا وعلى وجه الخصوص، تتعزّز التحدّيات على كلّ الجبهات التربوية، والعقدية، والسياسية، والثقافية، والقِيَمية، بسبب الانفتاح الثقافي الغامض، لتأخذ حيّزًا كبيرًا تنحدر إلى تغيير كل المفاهيم والسلوكيات، وما يناسب المنظومة العالمية والمصالح الاستكبارية. فإعطاء الأولوية للانفلات، يعزّز فرص الاستبداد والاستكبار، كما أنّ الالتزام يقف مطبًّا وعقبة حقيقية في وجه طغاة العصر الراهن وأطماعهم.

فلا يمكن أن يكون مُعلّم التربية الإسلامية المعاصر بعيدًا كل البعد عن القراءة والمطالعة، وعن التربية القرآنية، وتحديدًا الجهاد الفكري؛ لأن الانحراف الفكري يعني انقلابًا على الدين، وإلغاءً للعقيدة والهُوية الإسلامية، فلا سبيل للمُعلّم القدوة إلا اللجوء إلى كتاب الله والسُنّة المعصومة لممارسة سُبُل الهداية. فعليه أن يقرأ، ويحلّل، ويربط الأفكار كلّها بالله، وبعظمته، وأنبيائه، وأهدافه، وخلقه، فلا قيمة لشيء في هذا الوجود إن لم يكن مرتبطًا بالله، وإلا سيقع في غياهب الجهل والفناء.

في ظلّ التحدّيات الكبيرة التي انبثقت من رحم الفوضى التكنولوجية، ومختلف مواقع التواصل الاجتماعي، وتلاحق الثقافات، ظهرت مشاكل خطيرة تهدّد الوعي، والعقل الجمعي، وتحديدًا الفئة المراهقة؛ حيث تبيّن استهدافهم بشكل جلي وواضح، ما انعكس ذلك على قيمهم، وعقيدتهم، وأفكارهم، وسلوكهم.

إذن، السؤال الأساس لبحثنا الذي سوف نحاول الإجابة عنه، هو: كيف يمكن لمُعلّم التربية الإسلامية تعزيز جهاد التبيين لدى المراهقين مستعينًا بالقرآن والسُنّة؟

أولًا: الجهاد في الثقافة الإسلامية

للجهاد معانٍ عدّة: منها الطاقة، والمشقة والوسع، والقتال، والمبالغة، قال الراغب الأصفهاني: الجَهد والجُهد: الطاقة والمشقة، وقيل: الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الوسع.[1] إحدى الظواهر البارزة في الثقافة الإسلامية، ولها مصاديق بارزة وكثيرة في تاريخ صدر الإسلام، هي ثقافة القتال والجهاد. والجهاد طبعًا لا ينحصر في نطاق القتال في ميادين الحرب، فكل ما ينضوي على جد واجتهاد ومجابهة مع العدو يُسمّى جهادًا. ولكن قد يكون الجهاد تارة في ميدان الحرب فيُسمّى بالجهاد الحربي، وقد يكون تارة في ميدان السياسة فيكون جهادًا سياسيًّا، وقد يكون في الميدان الثقافي فيُسمّى جهادًا ثقافيًّا، وقد يكون في مجال البناء فيُسمّى بجهاد البناء، كما أن له ميادين ومجالات أخرى طبعًا. إذن، كلّ ما يُبذل فيه جهدًا ومثابرة، ويكون في مواجهة العدو، هو بالاصطلاح جهاد.[2]

ثانيًا: الجهاد في فكر الإمام الخامنئي (دام ظلّه)

هو الجهود المستمرة المترافقة مع تحمّل الأخطار- بالتأكيد ضمن الحد المعقول- والتطوّر والأمل بالمستقبل، والجهاد يعني النضال والكفاح.[3]

ليس الجهاد حمل السلاح فحسب، بل له أنواع وأشكال عدّة، يقول الإمام الخامنئي (دام ظله): الجهاد ليس مجرد حمل السيف، والحرب في ساحة القتال؛ حيث يتسع مفهوم الجهاد ليشمل الساحة الفكرية، والساحة العملية والتكسّبية، والساحة التبليغية التبيينية، وصولاً إلى الساحة المالية والبذلية. ولذا، عبرَّ (دام ظله) في مكان آخر عن مواجهة العدو-الذي يُطلق سهامه السامة على الثورة والبلد الإسلامي-إنما يجاهد في سبيل الله، فالجهاد الفكري هو أحد انواع هذا الجهاد[4].

١ - الراغب الاصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٠٨.
٢ - السيد علي الخامنئي: الخواص واللحظات المصيرية، ص ١٨.
٣ - مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص ١١.
٤ - مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص١١.

فكل من يقف في وجه العدو الذي سدّد من كل جانب سهامه السامّة إلى جسد الثورة وهذا البلد الإسلامي فهو مجاهد في سبيل الله، ونحمد الله على أنّ شعلة الجهاد كانت ولا تزال وستبقى مضيئة. وبطبيعة الحال إن أحد أنواع هذا الجهاد هو الجهاد الفكري، أي بما أنّ العدو قد يباغتنا ويوقعنا في الأخطاء والمنزلقات، فكل من يبذل جهده على طريق توعية الناس، ويحول دون حصول أي انحراف أو سوء فهم، فعمله هذا جهاد. إذن، فهو في سبيل مجابهة العدو، ولعله من الجهاد المهم[1].

انطلاقًا مما تقدّم، يؤكّد الإمام الخامنئي (دام ظله) على جهاد التبيين، فيقول: وأيما شخص يجد في سبيل توضيح الأفكار للناس، ويجنّبهم الانحراف، ويمنع سوء الفهم -حيث إنّ هذا العمل هو في مواجهة العدو-فإنّ جهده يسمى جهادًا. وهو الجهاد الذي يعد مهمًا هذه الأيام[2].

ثالثًا: التبيين في القرآن

ذكر (الزبيدي) في كتابه تاج العروس، المعنى اللغوي لمفردة « التبيين ومشتقاتها مستفيدًا من الشواهد القرآنية:

قوله تعالى ﴿ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ٣٤] بكسر الياء وتشديدها بمعنى متبينات، ومن قرأ بفتح الياء بمعنى أن الله بينها.

قوله تعالى ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَانِ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ [النور: ٢]، أي ظاهرة مبينة.

قوله تعالى ﴿وَالكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: ٢]، قيل معناه إن المبين الذي أبان طرق الهدى من

١ - السيد علي الخامنئي: الخواص واللحظات المصيرية، ص ١٨.

٢ - مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص١٢.

طرق الضلال، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة.

كما قال (الأزهري): الاستبانة قد يكون واقعًا. استبنت الشيء إذا تأملته حتى تبين لك، ومنه قوله تعالى ﴿**وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٥] والمعنى لتستبين أنت يا محمد، أي لتزداد إجابة. وأكثر القراء قرؤوا لتستبين سبيل المجرمين، والاستبانة حينئذ غير واقع. والتبيان بالكسر ويفتح مصدر بينت الشيء تبيينا وتبيانًا وهو شاذ، كما في قوله تعالى ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [النحل: ٨٩] أي بيّن لك فيه كل ما تحتاج إليه أنت وأمتك من أمر الدين، وهذا اللفظ العام الذي أريد به الخاص، والعرب تقول: بيّنت الشيء تبيينًا وتبيانًا[١].

والحاصل، قد نُسب التبيين في القرآن الكريم الى أربع جهات مختلفة: الله، والرسول، والكتاب، وآخرين:

١-تبيين الله تعالى

قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى..** ﴾ [البقرة: ١٥٦]، فالله سبحانه وعباده الصالحون، وملائكته المقرّبون، يلعنون من يكتم الحق، وأي خيانة للعالم أكبر من محاولة العلماء كتمان آيات الله المودعة عندهم، من أجل مصالحهم الشخصية وتضليل الناس [٢].

وقال تعالى ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٤٢]، وقوله تعالى ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١٣]، وقوله تعالى ﴿**كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ...**﴾ [الأنعام: ١٠٥]؛ إذ إن التبيين بحسب الآيات الكريمة هو طريق الى التقوى والعلم والتفكّر، والله -تعالى- يريد للخلق أن يبلغوا تلك المراتب،

١ - مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج ١٨، ص ٧٨-٧٩.
٢ - مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن، ص٤٥٨.

فسلك لهم طريق التبيين[1].

وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ...﴾ [التوبة: ١١٥]، التبيين هنا وسيلة للهداية والإنقاذ من الضلالة، والله يمنّ على عباده أن يبيّن لهم، وألقى عليهم حجته، وذلك يكفي لأن يهتدوا.[2]

وقال تعالى ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [النحل: ٩٢]، هذه الآية تؤكّد أنّ الله -سبحانه وتعالى- لن يكتفي بالجزاء والعقاب يوم القيامة، بل سيبيّن الحقّ وأهلّه ويوضّح تلك الخلافات التي كانت قائمة بين بني البشر، فالعدالة ليست في إعلان النتائج فقط، بل في كشف الحقائق أيضًا[3].

٢-تبيين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [الرعد: ٤٠]، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ...﴾ [المائدة: ١٥]، و﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

هنا كتمان الحقائق من المسائل التي عانت منها المجتمعات الإنسانية على مر التاريخ، وكان لها دوما آثار سيئة عميقة استمرت قرونًا وعصورًا. ويتحمّل تبعة هذه المساوئ دون شك أولئك الذين يعلمون تلك الحقائق ويكتمونها، فإنّ عمل هؤلاء يجرّ أجيالاً متعاقبة الى طريق الضلال والفساد، كما أنّ نشر الحقائق يدفع بالأمم إلى طريق الهداية والصلاح[4].

إن الإنسانية تميل إلى الحقائق بفطرتها، وكتمان الحقائق عنها يعني صدّها عن طريق تكاملها الفطري المرسوم لها، وعدم نشر الحقائق التي يعانيها الناس، يطرح تساؤلاً لا يتوقّف، فالسكوت في

١ - مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص١٩.
٢ - مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص١٩.
٣ - مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص٢٠.
٤ - مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص٢٠.

مواضع يجب فيها البيان قد يكون من مصاديق كتمان الحق، وذلك يكون في موارد يحتاج الناس فيها بشدة الى فهم الحقائق، ويستطيع العلماء فيها أن يلبوا هذه الحاجة. وجدير بالذكر، إن إلهاء الناس بالمسائل الفرعية، لصرف أنظارهم عن المسائل السياسية الحياتية نوع من كتمان الحق وفلسفته[1].

قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ...﴾ [الزخرف: ٦٣].

فالنبي له وظيفة التبيين، التي من خلالها يُخرج وساوس الشيطان من قلوبهم، ويزيل حجاب النفس الأمارة بالسوء عن الحقائق، لتظهر ناصعة برّاقة، ويفضح الجنايات والجرائم المخفية تحت زخرف القول، ويمحو أي أثر للاختلافات الناشئة من الاهواء، فيقضي على القساوة بنشر نور الرحمة والهداية، ليعم الجميع في كل مكان.[2]

٣-تبيين الكتاب

قال تعالى ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ...﴾ [النور: ٤٦]. إنّ القرآن كتاب تربية وهداية للإنسان، وقد نزل للوصول بالفرد والمجتمع، من الناحية المادية والمعنوية كافة الى حال التكامل والرقي.[3]

٤-تبيين أهل الاختصاص والمعرفة:

قال ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ...﴾ [النحل: ٤٣] فالمطلوب من الناس في

١ - مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير القرآن، ص٤٥٨.
٢ - مكارم الشيرازي: تفسير الأمثل، ج٨، ص٢٢٩.
٣ - مكارم الشيرازي: تفسير الأمثل، ج ٨، ص٢٩٢.

حال جهلهم في الأمور وعدم اطلاعهم عليها أن يسألوا أهل الاختصاص في المسألة، ولا يجوز لهم أن يستمروا في الجهالة والذكر بمعنى العلم والاطلاع، وأهل الذكر له من شمولية المفهوم، بحيث يستوعب جميع العالمين والعارفين في المجالات كافة.[1]

وقال تعالى ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ**﴾ [البقرة: ١٦٠]. يخبر الله تعالى في هذه الآية المباركة، أن شروط قبول التوبة ثلاثة هي:

أ- طلب التوبة.

ب- القيام بالإصلاح.

ج- التبيين.

في هذا السياق، تعدّ التعمية على الناس هو إضلال لهم، فالتوبة لا تتحقّق إلا بعد تصحيح الانحراف الذي أحدثه بعض الخواصّ في المجتمع، وهذا الانحراف يقوّمه التبيين[2].

رابعًا: التبيين في الروايات والأحاديث

ورد في عدد من الروايات ما يفيد أهمية التبيين ودوره في الرؤية الإسلامية المجتمعية والدعوية، نذكر منها:

١. ما ورد في زيارة الأربعين عن الإمام الصادق عليه السلام: «وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».[3]؛ حيث يظهر من هذه العبارة، أن هدف الإمام الحسين عليه السلام من خروجه يوم عاشوراء، هو استنقاذ العباد من الجهالة والضلالة، وبعبارة أخرى

١ - مكارم الشيرازي: تفسير الأمثل، ج٨، ص ١٩٧

٢ - مركز المعارف الإسلامية الثقافية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص٢٤.

٣ - الشيخ الطوسي: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ج٦، ص ١١٣.

التبين للناس[1].مضافًا إلى قول الإمام الحسين عليه السلام قوله المشهور لم «أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله طالبًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر»[2]، فهو خرج طالبًا الإصلاح، والإصلاح يشمل الإصلاح الفردي والإصلاح المجتمعي معًا من كل الرذائل والمفاسد والجهالة والضلال، كما أنه لفت الى أن المشكلة ليست في الدين الإسلامي، لقوله أُمّة جدّي، ولم يقل دين جدّي؛ إذ إنّ دين الله هو دين سليم لا إشكال فيه، بل المشكلة في الأُمّة.

٢. عن محمد بن أبي عمير العبدي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أخذ الله ميثاقًا من أهل الجهل بطلب تبيان العلم حتى أخذ ميثاقًا من أهل العلم ببيان العلم للجهال، لأن العلم قبل الجهل»[3]. ويستفاد من الرواية أعلاه أن الجاهل مطالب بتحصيل العلم، بينما العالم مطالب بتبيين علمه، والأول متوقف على الثاني. فلو قصّر العالم ببيان علمه وإيصاله، فإن الجاهل لن يستطيع التعلم، وهذا يبرز مسؤولية مضاعفة على العلماء في تبيين العلم ومطالبه..

٣. ما ورد عن الإمام علي عليه السلام: لرسل الله في كل حكم تبيين.[4]

٤. ما ذكره النعماني في كتاب الغيبة؛ إذ يقول وجدنا الرواية قد أتت عن الصادقين عليهما السلام: بما أمروا به من وهب الله عزوجل له حظًّا من العلم، وأوصله منه إلى ما لم يوصل إليه غيره من تبيين ما اشتبه على إخوانه في الدين، وإرشادهم في الحيرة إلى سواء السبيل وإخراجهم من منزلة الشك الى نور اليقين[5].

١ - مركز المعارف الإسلامية الثقافية: جهاد التبيين في فكر الامام الخامنئي، ص٢٤.
٢ - العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٢٩.
٣ - العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ج٢، ص٢٣.
٤ - علي بن محمد الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٠٤
٥ - الشيخ النعماني: الغيبة، ج١، ص ٢٣.

خامسًا: لماذا نستهدف المراهق؟

قال (ابن منظور) في لسان العرب في مادة رهق ومنه قولهم غلام مراهق أي مقارب للحلم، وراهق الحلم: أي قاربه[١].

تعتبر المراهقة فترة عبور وانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد والرجولة. وبالتالي، فهي مرحلة الاهتمام بالذات والمرآة والجسد على حد سواء، ومرحلة اكتشاف الذات والآخر والعالم. ومن ثم تتخذ المراهقة أبعادًا ثلاثة: بيولوجيا (البلوغ) وبعدًا اجتماعيًا (الشباب) وبعدًا نفسيًا (المراهقة).[٢]

إن المراهق محطّ انظار العالم، فهو فردًا من أفراد المجتمع لازال يحاول فهم العالم، فهو شديد التأثّر بكل ما حوله، فضولي، يسعى إلى البحث عن القدوة دومًا، يسعى إلى البحث عمّن يرشده؛ لأنه يعلم في كينونة نفسه أنه غير قادر على حسم الكثير من المواضيع التي تخصه أو يحلم بها.

مضافًا إلى الهشاشة النفسية التي يعيش فيها، بسبب التغيرات الجسدية والاجتماعية والنفسية وغيرها، فلا هو من الصغار ولا هو من الكبار، يعيش حالة من الضبابية في الرؤية المستقبلية، خصوصًا مع تعدد الخيارات في الزمن الراهن.

يروم الغزو الثقافي أن يسلخ الجيل الجديد عن معتقداتها بضروبها المختلفة، فهو من ناحية يهز قناعة هذا الجيل بمعتقده الديني، ويقطعه من ناحية ثانية عن الاعتقاد بالأصول الثورية، ويهدف من ناحية ثالثة إلى قلعه عن هذا الطراز من الفكر الفعّال، الذي دفع الاستكبار والقدرات الكبرى لاستشعار حالة الخوف والخطر[٣].

١ - ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص١٣١.
٢ - ميخائيل خليل معوض: مشكلات المراهقين في المدن والريف، ص٢٧.
٣ - توفيق حسن علوية: الامام الخامنئي ورؤاه المعاصرة، ص ٥٤

سادسًا: علاقة المراهق بالمجتمع:

من المعلوم أن المدرسة أو المؤسسة التعليمية وظيفتها هي تنشئة المراهق تنشئة بنّاءة وهادفة، وإدماجه في المجتمع إدماجًا نافعًا ومثمرًا. بمعنى أن المدرسة تهدف الى تكوين مواطن صالح نافع لذاته، وأسرته، ومجتمعه. لذا، تقوم علاقة المراهق بالمجتمع على أساس التفاهم، والتواصل، والعطاء المتبادل، والانفتاح على التجارب المجتمعية، والخوض فيها بشكل إيجابي. ويعني هذا أنّ كل تقصير وظيفي ينتج عن عدم التوافق الاجتماعي، قد يدفع المراهق إلى الانكماش، والعزلة، والانطواء، واليأس، والتشاؤم، والإحساس بالنقص والدونية[1].

ولعل المؤسسات التربوية والتعليمية تعتبر أفضل مجال يمكن أن يساعد المراهق، ويأخذ بيده لتسهيل عملية دمجه في المجتمع، على نحو يحقّق ذاته، ويشعر بوجوده، وكينونته، وهو مطمحه الأساس.[2]

وكما يرى الباحث المغربي (سيدي محمد بلحسن) في كتابه (سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والتوافق النفسي لدى المراهقين): «للأفراد الذين يتعامل معهم المراهق مثل الوالدين والأساتذة وأعضاء المجتمع القريبين منه، وجماعة الأصدقاء أثر كبير في نمو مفهوم الذات».[3]

سابعًا: مشكلة عدم التوافق النفسي عند المراهق:

يعدّ عدم التوافق النفسي من أهم المشاكل التي يتخبط فيها المراهق والمراهقة، ويترتّب على ذلك أحاسيس ومشاعر سلبية، مثل القلق، والضيق، والارتباك، والحزن، والبكائية، وشدّة الانفعال، وعدم الأمان، وغياب الاستقرار، واضطراب علاقتهما مع الأفراد، وكثرة المخاوف

١ - جميل حمداوي: المراهقة وخصائصها ومشاكلها وحلولها.

٢ - أحمد آوزي: سيكولوجية المراهقة، ص٣.

٣ - محمد سيدي بلحسن: سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والتوافق النفسي لدى المراهقين، ص٢٣١.

الذاتية والموضوعية. ولا شك بأن هذا الاضطراب يولد الانعزال الوجداني، والفقر العاطفي، يقوي الإحساس بفراغ الحياة، وفقدان التوازن النفسي، الذي بدوره يشعر المرء نتيجة لذلك بأنه قلق في سلوكه، ومهدّد في حياته، لا يجد من يحميه أو يقيه شرور هذا العصر الكثيرة، المتمثّلة في الأمراض المستعصية، والحروب المنتشرة حاليًا ضد الإنسان، الذي يؤدي ثمنها ماديًّا ونفسيًّا في الوقت الحاضر.[1]

ثامنًا: بناء الشعور بالمسؤولية لدى المراهق

توجيه المراهق والتبيين له، لا يتوقف على الوعظ، بل أن يفتح له أفق السؤال والتساؤل، وترك لومه في حال سأل سؤالاً يخالف الأعراف والتقاليد؛ لأن الله -عزَّ وجلَّ- سمح بالسؤال عنه، والشك في كل شيء بهدف الوصول إلى المعرفة، وبأن يعبرّ عن مكنوناته ليتم معالجتها.

كما أن من سُبل التبيين الحالة التي يرى فيها المراهق مُعلّمه، فهل يراه دومًا معكّرًا، ومغتاظًا، ومستفزًّا، ومتكاسلاً، ومراوغًا، ويائسًا، ومحبطًا، وبعيدًا كل البعد -في حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله- عن الله، أو أن قوله لا يطابق فعله. فعلى المُعلّم أن يكون حذرًا؛ حيث بات من الواضح أن المراهق شديد التأثّر بالمُعلّم الواثق من نفسه، والمثقف، والطيب، والضحوك، والجدي، والمتواضع، والمُعلّم الذي استطاع أن يمتهن المودة والرحمة عمليًا على أرض الواقع بالعمل والسلوك، فكم يقدر المُعلّم أن يعكس الإيجابية في نفوسهم، وكم هو قادر على إقناعهم بأن الإنسان المؤمن المكلف، هو السعيد، وهو صاحب الطمأنينة والسكينة.

على المُعلّم أن يكون في المقدمة، وكلما استطاع المُعلّم مصاحبة المراهقين، كلما كانت كلمته أقوى، وحضوره أقوى في قلوبهم. وهنا لابد من الإشارة الى أن المُعلّم الذي يتعمّد ترهيبهم، قد يكون له هيبة في نفوسهم، ولكنه عديم التأثير، أو إذا استطاع أن يؤثّر، فحتمًا سيكون تأثيره سلبيًا لا محالة.

١ - محمد سيدي بلحسن: سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والتوافق النفسي لدى المراهقين، ص٢٣١.

تاسعًا: دور المُعلّم في التبيين للمراهقين على ضوء القرآن والسنة

يعدّ مُعلّم التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية أكثر تأثيراً على الجيل الصاعد من طلابه، لمواجهة انعكاسات وتغيرات العصر، ويظل دوره مرهونًا بقدرته على تطوير نفسه، لطبيعة الأدوار التي يقوم بها لتجديد حركة الفكر الشاخص في نفوس طلابه؛ وذلك لأن التطوير يضمن الاستمرار والبقاء. ومن الملاحظ أنّ هناك انخفاضًا ملموسًا لثقافة المُعلّم الإسلامية، وهذا انعكس بالتالي على جوانب الوعي الديني لديه ولدى المتعلّمين؛ لأنّ للمُعلّم أثر بالغ في غرس القيم الخلقية في نفوس طلابه ونشر الثقافة الإسلامية بينهم، وبالتالي تنمية الوعي الديني لديهم.[1]

يمثّل المُعلّم مكانة مهمّة في الدور الذي يقوم به، في تنمية الوعي الديني لدى طلابه، وأن أهمية التربية الإسلامية تأتي من المادة التي يقوم بتدريسها، وأنه يقدم خدمة شأنه شأن بقية المُعلّمين في دوره، ويزيد أهمية منهم، من خلال تمكين الطلاب اكتساب المعارف والمُثل العُليا، وتذوّق معنى الحرية والمسؤولية، وأمن المجتمع، وأن مستقبل الأمة ومصيرها يكونان في أيدي أولئك الذين يربّون أجيالهم الناشئة، فلن يكون ذلك القول بعيدًا عن الصحة، إن لم يكن مطابقًا لها، ومن هنا تظهر مكانة مُعلّمي التربية الإسلامية مكانة رفيعة جدًا.[2]

فإن دور مُعلّم التربية الإسلامية هو دور عظيم جدًا وكبير فلا يختصر بالتلقين بل بتعليم المراهقين التفكير النقدي، وحل المشكلات، وفهم الدين على أنه منهج حياة، وليس طقوسًا عابرة لا أثر لها في الحياة اليومية، كما يحاول بعض المغرضين أن يصوّره لهم عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي.

---

١ - صالح محمد حمدان العازمي وفهد سلامه منصور العازمي: برنامج مقترح لتفعيل دور معلمي التربية الإسلامية في تنمية الوعي الديني لدى طلاب المرحلة الثانوية بدولة الكويت، ص١٥٢.

٢ - صالح محمد حمدان العازمي وفهد سلامه منصور العازمي: برنامج مقترح لتفعيل دور معلمي التربية الإسلامية في تنمية الوعي الديني لدى طلاب المرحلة الثانوية بدولة الكويت، ص١٥٢.

عاشرًا: الجهاد الفكري في فكر الإمام الخامنئي (دام ظلّه)

فكل من يقف في إيران الإسلامية في وجه هذا العدو، الذي سدّد من كل جانب سهامه السامّة إلى جسد هذه الثورة وهذا البلد الإسلامي، فهو مجاهد في سبيل الله. ونحمد الله على أن شعلة الجهاد كانت ولا تزال وستبقى مضيئة. وبطبيعة الحال هو الجهاد الفكري، أي بما أن العدو يباغتنا ويوقعنا في الأخطاء والمنزلقات، فكل من يبذل جهده في طريق توعية الناس، ويحول دون حصول أي انحراف أو سوء فهم، فعمله هذا جهاد. إذًا، فهو في سبيل مجابهة العدو، ولعله من الجهاد المهم.[١]

فعلى مُعلّم التربية الإسلامية أن يمتهن مهارات ضرورية، وهي:

١. مهارات الجانب العقدي:

يُعرّف الطلاب أصول العقيدة الإسلامية ومصادرها الصحيحة، وتقوية الشعور بعظمة الدين الإسلامي والسنة النبوية المطهرة، كما يناقش أركان الإسلام ويسوق الأدلة القرآنية والسنة النبوية لتدعيم رأيه، ويوضّح دور القدوة الحسنة في حياة الطلاب، كما يصوّب المفاهيم الدينية الخطأ لدى طلابه، ويهتم بإثارة الوعي الديني والسياسي والفكري عندهم، كما يتيح فرصة للطلاب للرد على الشبهات.[٢]

إن بواعث الإلحاد قد لا تكون بالضرورة دينية فقد تكون علمية أو نفسية أو تربوية، وهذا ما يحتّم على المربي والمُعلّم تقصّي البواعث الحقيقية للإلحاد عند الطالب، حتى يستطيع أن يحاوره ويقدّم له الحجاج والبراهين المناسبة لحالته. وقد قُسّمت[٣] دوافع الإلحاد إلى دوافع

١ - السيد علي الخامنئي: الخواص واللحظات المصيرية، ص٢٣٧.

٢ - صالح محمد حمدان العازمي وفهد سلامه منصور العازمي: برنامج مقترح لتفعيل دور معلمي التربية الإسلامية في تنمية الوعي الديني لدى طلاب المرحلة الثانوية بدولة الكويت، ص١٥٢.

٣ - سوزان المشهرواي: الإلحاد المعاصر سماته وآثاره وأسبابه وعلاجها، ص١٠.

عقدية، ودوافع علمية، ودوافع حضارية، ودوافع تربوية، ودوافع نفسية، ونذكرها باختصار:

أ. دوافع عقدية: التبعية للغرب، كالهزيمة العسكرية للغرب أمام الغزو الغربي؛ حيث إن الاستعمار الأوروبي لبلاد المسلمين كان له أثر كبير في اهتزاز العقيدة الإسلامية، وتقليد المستعمِرين، والتشبّه بهم.

ب. دوافع علمية: كالضعف العلمي، وعدم التجديد، والإبداع في الخطاب الدعوي والديني، والقراءة في الكتب المشبوهة التي تعدّ من أعظم أسباب زعزعة العقيدة الإسلامية، وإثارة الشكوك.

ج. دوافع حضارية: وتكمن هذه الدوافع فيما وفّرته المادية الحديثة من سبل للرفاهية وسهولة الوصول للملذات والمغريات والانغماس بالشهوات، الأمر الذي يجعل المراهقين ينساقون وراءها مع محاولة الابتعاد عن الإسلام.

د. دوافع تربوية: كسوء التنشئة، فإن نشأة الطالب في بيئة أسرية لا تلتزم بقيم الإسلام ومبادئه، ويغيب فيها أثر القدوة الصالحة، أو صحبة السوء؛ حيث تعتبر سبب دافع إلى إفساد دين الشباب، وعقيدتهم خاصة في العصر الحديث.

ه. دوافع نفسية: كاضطراب الشخصية، فهناك شخصيات متقلّبة في معتقداتها الدينية؛ فمرة تجده ملتزمًا بما يمليه الدين الإسلامي، ومرة تجده متمرّدًا على ضوابط الدين ومنسقًا وراء أفكار إلحادية. وهذه الشخصيات تكثر في أوساط الشباب والطلاب في سن المراهقة، وهذا يستدعي من مُعلّم التربية الإسلامية احتوائها وتوجيهها بالتي هي أحسن، في غير غلظة وجفاف في التعامل، امتثالاً لقوله تعالى ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل ١٢٥].[1].

١ - عوض علي بن يحيى القحطاني: دور معلمي التربية الإسلامية في تحصين طلاب المرحلة الثانوية من الإلحاد، ص١١.

٢. مهارات الجانب السلوكي

تعزيز الأخلاق والصفات الحميدة في نفوس الطلاب، واستخدام أسلوب الحوار المقنع لتعديل السلوك الخطأ، والالتزام بأداء العبادات؛ لأنها تهذّب السلوك وتقومه، والتحكم في ضبط النفس مع الآخرين، وحماية الطلاب من الأفكار والممارسات المنحرفة، وتمكينهم من اكتساب المعارف والمثل العليا.[1].

فعلى مُعلّم التربية الإسلامية ألا يكتفي بتبين الحقائق، بل يساهم في بناء مهارة التفكير لدى المراهقين، ليتحوّلوا من عبء على المجتمع، إلى مؤثّرين واعين ومساهمين في عملية جهاد التبيين.

حادي عشر: مكانة التفكير في القرآن:

يحثّ القرآن على التفكير بأساليب صريحة ومقصودة: من ذلك قوله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ [سبأ: ٤٧].

ويدعو القرآن للتفكر بأساليب غير مباشرة: من وذلك قوله تعالى ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢].

والتفكير أحد أسباب نزول الذكر والكتاب الحكيم: ومن ذلك قوله تعالى ﴿**بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤]

وأنّ العلم أساس التفكير، والتفكير أصل العمل، بقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩].

---

١ - صالح محمد حمدان العازمي وفهد سلامه منصور العازمي: برنامج مقترح لتفعيل دور معلمي التربية الإسلامية في تنمية الوعي الديني لدى طلاب المرحلة الثانوية بدولة الكويت، ص١٥٢.

ثاني عشر: مهارات التفكير في القرآن:

١-التفكير الناقد:

اعتقد كثير من الباحثين أن هذا النوع من التفكير نشأ عن طريق التربية الحديثة، لكن المتأمل في القرآن يجد عددًا من الآيات تدلّ على ذلك، ومنها ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّه قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة ١٧٠].[١] وهي دعوة للتفكير الناقد، من خلال التبصرّ في الأمور وعدم التسرع في نقل الأخبار وقبولها.

٢-التفكير الإبداعي:

يُعرّف التفكير الإبداعي على أنه عملية ينتج عنها عمل جديد يرضي جماعة ما، أو تقبله على أنه عمل مفيد. والمتأمّل في القرآن الكريم يجد كثيرًا من المواقف والقصص التي تحكي ممارسة أصحابها التفكير الإبداعي، كأفكار جديدة وأصيلة. ومن تلك المواقف، الحل الإبداعي الذي توصّل إليه (ذو القرنين) في بناء السد في ذلك قوله تعالى ﴿**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾ [الكهف: ٩٤][٢].

فعلى مُعلّم التربية الإسلامية أن يشخص الحالة التي يُشكل منها المراهق ليكون قادرًا على الإجابة، ولا يمكن له أن يتنصل من الإجابة، لأنه في مقام التبيين، وعليه تبيين الحق بدل أن يحصلوا على إجابات من بيئات لا تمت الى إسلامنا بصلة، كما عليه أن يقرأ في كل الجوانب التي تهمهم حتى لو كانت رياضية.

وبدون منازع تحتل الأمور الفكري الجانب الأهم والأخطر لأنها قادرة على حرف مسار

١ - يمينة بوبعاية وخولة معتوق: دور المعلم في تنمية مهارات التفكير الابداعي المستنبطة من القرآن، ص٢٨.
٢ - يمينة بوبعاية وخولة معتوق: دور المعلم في تنمية مهارات التفكير الابداعي المستنبطة من القرآن، ص٢٨.

المراهق الى وادٍ غير ذي زرع، فينحرف فكريًا وينتهج نهجًا مغايرًا للإسلام.

كما عليه أن يلتقط مصادره من القرآن والسنة أو العلماء، وألا يكتفي بالنقل، بل عليه البحث والتحقيق والتحري والتقصّي، انطلاقًا من قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦].

كما عليه أن يكون لبقًا ومقنعًا في طرح الإجابة، وتحديدًا في الجوانب الفكرية، خصوصًا أن طرح الإشكال لا يحتاج إلى بحث وتدقيق وعلم. في المقابل، إن الإجابة تحتاج إلى تأمّل، وتدبّر وتدقيق، وقراءات متعدّدة، وهذه من أعظم التحدّيات التي يواجهها مُعلّم التربية الإسلامية.

مضافًا إلى أن ذهن المراهق لم يكتمل بعد إلى درجة التي تخوّله أن يستوعب مجمل المجرّدات والغيبيات. وفي بعض الأحيان، قد يطرح أسئلة فقط لإظهار النفس، فهنا على المُعلّم أن يتمتّع بالحنكة متى يجيب، وكيف يجيب.

ومن المغالطة الكبرى أن يحاول بعضهم التركيز على مُعلّم التربية الإسلامية بأنّه الوحيد الملزم بتبين الحقائق لدى المراهقين، فإنّه لخطأ فادح ومجانب للصواب، وينبغي التنبّه إليه وتداركه؛ لأنّ جهاد التبيين واجب على كلّ مسلم، ولكن بحسب قدرته ودائرته، وإن كان الأولى لمُعلّم التربية الإسلامية تبيين الحقائق، لكن هذا لا يسقط التكليف عن بقية المُعلّمين؛ لأنه واجب عيني، أي واجب على كل فرد بعينه، فإذا قام به بعضٌ لا يسقط عن بعضٍ آخر.

فمن هنا، تبيّن أهمية جهاد التبيين الذي يرفع الجهل والضلال عن العقول، وكما أنّ مُعلّم المرحلة الثانوية، عليه أن يدرك أنها مرحلة حسّاسة وخطيرة، ولها أبعاد وتأثيرات وخيمة على مستقبلهم، إن لم يجرِ احتواؤهم قبل فوات الأوان.

فالمُعلّم هو الطلقة الأولى في الوعي الواقعي لمراهق في طور اكتمال وعيه وإدراكه، فلا ينبغي التغافل عن هذه المَهَمَّة العظيمة، تحت أسباب الضغط او قلّة المعاش، جهاد التبيين هو واجب عيني، أي على كلّ مكّلف بعينه، كما مر.

فلا تقتصر وظيفته على تلقين المادة، وإقامة الاستراتيجيات التعلّمية، والأساليب والأنشطة، بل عليه أن يعلم طبيعة المراهق النفسية، كم هو مرهف الإحساس، وأنه هو بطبيعته النفسية والتكوينية يبحث عن صاحب، وعادةً ما يرغب بصاحب أكبر منه، أو أعلم منه ليرشده، فلذا يكون غالبًا متأثرًا بالقائد، والمُعلّم، والمشهور، والناجح، والواثق...إلخ.

وعليه في كل حصّة تعليمية أن يتبع منهج التعليم الخفي، أي التعليم عبر الرسائل المخفية التي تمرّرها بين وقت وآخر، كمثل أن يتحدّث عن الكون والجاذبية، فيمرّر لفتة قرآنية ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾ [الدخان: ٣٨] ثمّ يعقّب بسبحان الله، ويذكّر إعجاز الله وعجز الإنسان، فهذه النكات تؤثّر على المراهق، وتبيّن له الحقائق الإلهية، فينساق ناحية التوحيد، وإدراك عظمة الله شيئًا فشيئًا.

فيبدأ دور المُعلّم بفهم الحاجات البيولوجية والجسدية، والخلفية الثقافية، ويتفهّم السلوكيات، ويضع الضوابط والقوانين لزامًا، ولو بالتقصّي من خلال السؤال والاستفسار، فيجمّع معلومات أوّلية ليعرف اهتماماتهم وأولوياتهم.

فالتشخيص أولاً، ومن ثَمّ ينتقل إلى المطالعة، والبحث، والقراءة، والتحقيق، ولو بالمقدار الذي يستطيع من خلاله التأثير، مع الإشارة إلى أن التبيين يختلف بين مُعلّم وآخر بحسب المادة التعليمية، فلا يصحّ التبيين من مُعلّم الرياضيات، كما هو حال مُعلّم الفلسفة أو الأدب، فضلاً عن مُعلّم التربية الإسلامية، الذي يعدّ في الواجهة الأولى في هذا المَهام.

إن الإشكاليات عدّة وخطيرة وحساسة، إلى درجة يلزم على المُعلّم الذي لا يعرف كيفية الإجابة عن سؤال، أن يؤجّل الإجابة بدل الإجابة من دون علم وتقصٍّ.

فكما ينبغي الإشارة الى أن أكبر تحدٍّ ممكن أن يواجهه المُعلّم، خصوصًا في عصر الانفتاح، وكثافة المعلومات، هو سهولة تصوّر الإشكال وصعوبة تصوّر الإجابة؛ إذ إن السؤال أو الإشكال لا يحتاج الى بحث وتدقيق، وتفكّر، وتأمّل، وجهد، ممكن لأي إنسان عالمًا كان أم جاهلاً أن

يطرح إشكالاً خطيراً تحتاج الإجابة عنه إلى بحث، وتفكّر، وتأمّل، وتدبّر، وقراءة كثير من الكتب، والمصادر، والأبحاث، والمقالات، فضلاً عن مهارة التبيين؛ فليس كل من عرف الجواب، استطاع إيصال الإجابة.

ومن ثم ينتقل المُعلّم إلى التبيين بالسلوك، والكلام، والحركات، والسكنات، فإنّ المراهق شديد الملاحظة إلى درجة قال لي مراهق يومًا: مبارك قميصك الجديد يا أستاذ، قلت له: باركك الله، ولكن كيف علمت أنه جديد؟ فقال لي: يا أستاذ أنت لديك قميص لونه أزرق سماوي، وقميص لونه رصاصي، وقميص لونه زيتي، وفعلاً عدّد لي قمصاني التي أرتديها حال التعليم، ومن ثَمّ ختم قائلاً: وهذا قميصك الجديد.

أن يرى المراهق مُعلّمه صبورًا، ومجدًّا، ومؤدّبًا، وإيجابيًّا، وواثقًا، ومتوكّلاً، ومتواضعًا، ومحبًّا، ومصلّيًا، ومتسامحًا، ومثقّفًا، وقارئًا، سينعكس ذلك كلّه عليه بشكل إيجابي، وسيرى الدنيا من منظور آخر، كما أنه قد يحبّ مادة الفلسفة رغم جفافها، ويكره مادة الرياضيات رغم أهمّيتها، فقط لأنه يحب مُعلّم المادة ليس إلا.

ثالث عشر: تجربة شخصية لدور المُعلّم في التبيين تدعو الى التفكّر والتأمّل:

أذكر تجربة شخصيّة، دخلت إلى صف من صفوف الثانوي، وكنت وقتها أتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام، فوقف تلميذ، وقال لي: يا أستاذ أنا أعتقد أن الثورة الفرنسية أفضل من الثورة الحسينية.

كان السؤال غريبًا جدًا، فقلت في نفسي إن الفارق بينهما بين الثرى والثريا، فلا يقاسان، ولكن إن هذا الإشكال الآن قد وقع على مسامع أربعين مراهقًا، هيا تفضّل أيها المُعلّم الرسالي القدوة مارس جهاد التبيين.

قرّرت أن أتأمّل في الإجابة أكثر، فقلت له: قف، وقل لنا كيف للثورة الفرنسية أن تكون أفضل من الثورة الحسينية؟

هذه إشكالية طرحت على مسامعه من هنا أو هناك، وقد يكون التقفها من مواقع التواصل الاجتماعي، ولكنّه كان واثقَ الخطى، وقف وتحدّث بإسهاب، وأختصر كلامه هنا بالآتي: إن المجتمعات الأوروبية التي كان للثورة الفرنسية الحظّ الأوفر في إنعاشها، تعيش اليوم حالة من التطوّر المرموق الذي قلّ نظيره، ويوجد فيها الأنظمة والقوانين، والرفاهية، واحترام الحقوق، والتعليم، والطبابة، والضمان، والاستثمارات، وغيرها من الحاجات والرغبات التي تفتقدها معظم الدول التي تنشد العزاء لسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

وبما أنه مراهق، فهو يتعامل مع المحسوسات بشكل كبير، ويتآلفها كثيراً، وكما بدا لي أنه يعرف ماذا يقول، وليس سؤالاً عابراً ظهر في أوانه، بل على العكس تمامًا، الواضح أنه قد ناقشه مع كثريين، ولم يلقَ جوابًا.

فقرّرت أن أنتقل معه إلى المحسوس، وقلت له: أنت الآن ههنا جالس في الثانوية، وتمارس حقّك في التعليم بفضل الثورة الحسينية، وليس بفضل الثورة الفرنسية، وإن لبنان قد عانى من الانتداب الفرنسي ما قصّه علينا التاريخ الحديث.

وإذا كنا نعيش في وطننا بعزّ فإن الفضل، بعد الله، يعود الى المقاومة التي حرّرت، ودحرت العدوان، وفتحت لنا الأفق في ممارسة ولو بعض حقوقنا، وهذه المقاومة تنتهج نهجًا حسينيًّا لا نهجًا فرنسيًّا.

وأكملت قائلاً: إن الثورة الحقيقية تقاس بمدى تعلّقها بالقيم والمبادئ والعدالة، ورفضها للظلم والاعتداء، فانظر اليوم بعين الحقيقة، وانظر إلى المظلومين في هذا العالم مع من تقف الثورة الفرنسية؟ ومع من يقف أنصار الثورة الحسينية؟

فكما أنه لا قيمة للإنسان الغني إذا تخلّى عن مبادئه، فلا قيمة للثورة العنصرية التي تقف مع الظالم، وتعلن له الأحقّية بالدفاع عن نفسه، رغم أنه لا حق له في أرض مغصوبة.

فكما أن الإنسان يتميّز عن غيره الإنسان لا بماله ولا بجاهه ولا بجماله وإنما يتميز بالتقوى

انطلاقًا من قول الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فكذلك الثورة تُقاس بمدى التزامها بالقيم.

فلا قيمة للصناعات إن كانت على حساب القيم وحقوق الآخرين، ومن استطاع الجمع من دون تفضيل الفاضل على الأفضل، فهو الأفضل.

عندما لا يكون هناك اعتقاد بالله، تصبح القِيَم دون معنى، وكذلك تفتقد العدالة لأي معنى، ولكن هناك معنى لغير اللذّة والمنفعة الشخصية، فإذا ما اصطدمت قدم الإنسان بحجر، وتأذّى في طريق الوصول إلى نفعه الشخصيـ يكون قد تضرّر وخسر. وإذا لم يحصل على المنفعة (المادية والشخصية)، وعجز عن السعي والعمل، يأتي دور اليأس، والانتحار وغيرهما من الأعمال غير المعقولة.[1]

خاتمة

هذه الحقائق لا بد أن تبيّن للمراهقين لكيلا يغرقوا ببحر الديمقراطية المزيّفة التي تسيطر على الدول الغربية، وينساقون الى قدوة عبثية، تريد منهم ولا تريدهم، تلعب بعواطفهم، وتميل بهم الى الترهّات والسخافات واللهو، ليكونوا بعيدين عن مشاريعهم الاستكبارية، ويقبعوا في غفلتهم، ولا مشكلة أن يصحوا بعد فوات الأوان.

فليست مشكلة الغرب أن تصلّي وتصوم وتحجّ وتتفقّه في دينك، لكنّ مشكلتهم بأثر الصلاة والصوم والحج، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعيق تقدمهم في المجتمعات الغربية، وبناء شاب واع بصير ومدرك بحقائق القيم الغريبة الزائفة، ويقظة الناس وبصيرتهم وضبط

١ - السيد علي الخامنئي: البصيرة والاستقامة، ص٢٠.

المراهقين والشباب ليسيروا نحو الله، فإنك بذلك تخلق مجتمعًا قرآنيًّا واعيًا، سيقف يومًا ما مطبًّا حقيقياً في وجه استعمارهم واستكبارهم، وهذا ما لا يناسب أحلامهم.

كما يذكر القائد الخامنئي في كتابه الاستعمار العالمي: نمط التطور الغربي نمط غير ناجح، صحيح أنهم قد وصلوا إلى السلطة والمال، ولكنهم تسبّبوا بكارثة للبشرية. التطوّر الغربي هو التطور الذي أدّى إلى أن تعاني البشرية بأجمعها اليوم، الدول المتخلفة تعاني بطريقة، والدول المتقدّمة تعاني بطريقة أخرى. هذا هو التطوّر الذي أدّى الى تمكين مجموعة معيّنة من العوائل بالاستحواذ على الثروة، ولكنّه أدّى الى أن تعاني البلدان الأخرى من الأسر والإهانة والاستعمار، وهذا النموذج أدّى إلى حصول الحروب وفرض حكومات، وأدى إلى فساد خُلُقي في البلدان المتقدّمة، والابتعاد عن المعنوية وانتشار الفحشاء، والفساد، والجنس، تفكيك العوائل وما شابه، ولذلك هذا النموذج لا يعدّ ناجحًا.[1]

فبدل أن يتولّى أصحاب «الترند» المعاصرين تربية أجيال المستقبل، لا بدّ لكلّ مُعلّم أن يصنع من نفسه قدوة حقيقية، وعليه إيجاد الوقت، وممارسة المهارات اللازمة لبناء جسر بينه وبين المراهقين بهدف التقرّب منهم، وهدايتهم وإسعافهم قبل فوات الأوان، عسى أن يكونوا نورًا له يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

١ - كريم شني: الاستعمار العالمي الفرنسي في كلمات قائد الثورة الاسلامية، ص٦٥.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أحمد أوزي: سيكولوجية المراهقة، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، الرباط، ط١، ١٩٨٦.
- السيد علي الخامنئي: البصيرة والاستقامة، ترجمة: علي ضاهر، بيروت، دار المعارف الحكمية، ط١، ٢٠١٦.
- السيد علي الخامنئي: الخواص واللحظات المصيرية، بيروت، دار الهادي، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٢٠م.
- إبراهيم محمد بن أبي زُبيب النعماني: الغيبة، طهران، نشر الصدوق، لا ط، لا ت.
- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار القلم، ط١، ١٤١٢ه.
- جميل حمداوي: المراهقة وخصائصها ومشاكلها وحلولها، www.alukah.net
- توفيق حسن علوية: الإمام الخامنئي ورؤاه المعاصرة، بيروت، دار الأميرة، ط١، ٢٠١٠.
- ميخائيل خليل معوض: مشكلات المراهقين في المدن والريف، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٧١.
- سوزان المشهراوي: الإلحاد المعاصر: سماته وآثاره وأسبابه وعلاجه، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، العدد٣٥ (٣٠ يونيو/حزيران ٢٠١٨).
- صالح محمد حمدان العازمي، وفهد سلامة منصور العازمي: برنامج مقترح لتفعيل دور مُعلّمي التربية الإسلامية في تنمية الوعي الديني لدى طلاب المرحلة الثانوية بدولة الكويت، مجلة العلوم التربوية، الكويت، العدد٤، (٣١ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣).

- عبد الرحمن بن محمد الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر، لا ط، ١٩٩٤.
- علي بن محمد الليثي الواسطي: عيون الحكم والمواعظ، إيران، دار الحديث ط١، ١٣٧٦هـ.
- عوض علي بن يحيى القحطاني: دور مُعلّمي التربية الإسلامية في تحصين طلاب المرحلة الثانوية من الإلحاد، المجلة العلمية - إدارة البحوث والنشر العلمي، جامعة أم القرى، العدد٤، أبريل ٢٠٢٢.
- كريم شني :الاستعمار العالمي الفرنسي في كلمات قائد الثورة الإسلامية، ترجمة: ياسر الخيرو، بيروت، دار الحضارة، ط١، ٢٠٢٢.
- مؤسسة مركز المعارف الإسلامية: جهاد التبيين في فكر الإمام الخامنئي، بيروت، ط١، ٢٠٢٤.
- محمد بن الحسن الطوسي: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، طهران، دار الكتب العلمية، ١٣٦٤ش.
- محمد سيدي بلحسن: سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والتوافق النفسي لدى المراهقين، الرباط، منشورات المعارف، لا ط، ٢٠٠٨.
- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٦.
- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- يمينة بوبعاية وخولة معتوق :دور المُعلّم في تنمية مهارات التفكير الإبداعي المستنبطة من القرآن، مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، جامعة محمد بو ضياف المسيلة، العدد٢، ٢٠١٦.